كتاب
الجيب

المرأة
ماذا يراد منها؟
وماذا يراد لها؟

سهيلة زين العابدين حماد

دار الأندلس الخضراء

كتاب الجيب سلسلة من العناوين
صغيرة الحجم، قيِّمة المضمون، متعددة المجالات.

صدر منها حتى الآن

إسلاميات

١- أثر الدعاء في دفع المحذور وكشف البلاء.
٢- الغنائم أيها النائم.
٣- روح الأرواح.
٤- فقه السجود.
٥- رمضان نفحات إيمانية.
٦- رمضان لفحات اجتماعية.
٧- (٣٦ اقتراحاً عملياً لأخي الصائم).
٨- كيف ندعو إلى الإيمان في عصرنا.
٩- المنتقى من زاد المعاد في هدي خير العباد.
١٠- لا إله إلا الله شفاء من كل داء.
١١- حُجَّ لتكون.
١٢- (١٠ وقفات تربوية لجيل الصحوة المباركة).
١٣- مفاتيح الرزق والكسب الحلال.

الأسرة

١- أسرار المودة الزوجية.
٢- عسل النحل.
٣- كيف نرغب الناشئة في حفظ القرآن الكريم.
٤- المنتقى من تحفة المودود بأحكام المولود.
٥- المرأة ماذا يراد منها؟ وماذا يراد لها؟

الإدارة وتطوير الذات

١- المدير الأخطبوط.
٢- جبل القرود في مكتب المدير العام.
٣- قد سفينتك في الاتجاه الصحيح.
٤- حكاية اجتماع ناجح.
٥- اترك بصمتك.

السياسة

١- الاستخبارات الدولية.
٢- أمريكا التي لا نعرف.
٣- نظام الحكم في إسرائيل.
٤- الحرب العالمية الثانية.

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم : (٧١)

المرأة ماذا يُراد منها؟
وماذا يُراد لها؟

بسم الله الرحمن الرحيم

٢١٠/٤
2 س م

المرأة ماذا يُراد منها؟
وماذا يُراد لها؟

ألقيت في مهرجان الجنادرية السادس

يوم السبت الموافق ١٣/٨/١٤١٠هـ

إعداد

سهيلة زين العابدين حمّاد

© دار الاندلس الخضراء ، ١٤٢٥هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

حماد، سهيلة زين العابدين
المرأة ماذا يراد منها و ماذا يراد لها. / سهيلة زين العابدين
حماد.- جدة، ١٤٢٥هـ
١٠٨ ص، ١٠ × ١٤ سم
ردمك: ٩ - ٤٥ - ٧٩١ - ٩٩٦٠
١- المرأة في الإسلام أ- العنوان
ديوي ٢١٩,١ ١٤٢٥/١٣٦٣

رقم الإيداع: ١٤٢٥/١٣٦٣
ردمك: ٩ - ٤٥ - ٧٩١ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

دار الأندلس الخضراء

المملكة العربية السعودية - جدة

الإدارة: ص.ب : ٤٢٢٤٠ جدة ٢١٥٤١ هاتف : ٦٨١٠٥٧٧ - فاكس : ٦٨١٠٥٧٨
المكتبات : ◆ حي السلامة - خلف مسجد الشعيبي هاتف - فاكس : ٦٨٢٥٢٠٩
◆ حي الثغر - شارع باخشب - هاتف: ٦٨١٥٠٢٧ - فاكس: ٦٨١٠٥٧٨
◆ مكتب الرياض : هاتف / فاكس : ٢٤٢٤٩٣٠
الموقع: www.alandalos.com - البريد الإلكتروني: info@alandalos.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي قال: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا ﴾ ، والصلاة والسلام على رسول الله الذي قال: «إنما النساء شقائق الرجال».

أخواتي المسلمات:

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

إنه لشرف عظيم لي أن ألتقي بكن هذا اللقاء الأخوي الصادق لأحدثكن عن المرأة: ماذا يُراد لها؟ وماذا يُراد منها؟

وكما هو واضح فإنه حديث أنثى لأنثى عن الأنثى، حديث أنثى يعز عليها أن ترى نساء الإسلام وقد انحرف الكثير منهن عن جادة الصواب، فامتهنَّ أنفسهن، وقصرن في واجباتهن، وتهاونَّ في أمور دينهن جرياً وراء الكلمات البراقة التي تحمل

بـين طياتهـا سمومـاً قاتلـة تفتـك بهـن، وبأسـرهن، ومجتمعـاتهن، وبـأمتهن غـير مـدركات أيـة مكانـة سـامية بـوأهن الإسـلام، وأيـة حقـوق أدلـة مـنحهن الإسـلام، وأيـة مسـاواة وهـبهن الإسـلام! وأيـة حريـة متعهن بها الإسلام!

فلـيكن حـديثاً صـريحاً مبنيـاً علـى الحيـاد والموضوعية ليحقق أهدافه وغاياته.

وتتطلب هذه المحاضرة الإجابة عن سؤالين هـامين وهمـا: مـاذا يُـراد للمـرأة؟ ومـاذا يُـراد منهـا؟ وإجابـة عنهمـا أقـول: يُراد للمـرأة أن ينظـر لهـا نظـرة الإسـلام فتنال ما أعطاها الإسلام من مكانة وحقوق، ويُراد منها أن تكون كما أراد الإسلام لها أن تكون.

وهنا قد يتساءل بعضكن فيقول: هـل معنـى هـذا أن المرأة المسلمة لم تنل بعد حقوقها في الإسلام؟ وأن المتجمعـات الإسـلامية لم تنظـر إلى المـرأة نظـرة

الإسلام؟ وأن المرأة المسلمة خرجت عن النهج الذي رسمه لها خالقها فلم تكن كما أراد لها الإسلام أن تكون؟

وجواباً عن هذه التساؤلات أقول: إن كل هذا صحيح! كيف؟

المرأة المسلمة إلى الآن لم تنل حقوقها في الإسلام بل فرَّطت المجتمعات الإسلامية في كثير من هذه الحقوق، ومن أعظم هذه الحقوق: صيانة المرأة من عبث الشهوات وحماية عرضها؛ إذ فرطت المجتمعات الإسلامية، باستثناء المتجمع السعودي، في هذا الحق وجعلت النساء يخرجن سافرات متبرجات شبه عاريات، واحترفن العمل التكسبي بما في ذلك الغناء والرقص والتمثيل، وانتشر التعليم والعمل المختلطين فأصبح الطالبات يجلس جنباً إلى جنب مع زملائهن في مقاعد الدراسة، والموظفات يجلسن مع زملائهن في

مكتب واحد. وقد تجلس الواحدة مع زميلها بمفردها في مكتب واحد. وقد سمح للفتاة بالسفر بمفردها إلى بلاد بعيدة لأنها مضيفة في طائرة كما سمح لها بارتداء (المايوه) باسم الرياضة، وسُمح للرجل الأجنبي عنها أن يلمسها ويُقبلها باسم الفن، وسُمح للمرأة أن تغازل الرجل وتكتب فيه غزلاً باسم الأدب، بل سُمح لها أن تقرأ شعرها الغزلي وبوحها الوجداني على الملأ من الرجال والنساء!

أما المرأة فقد امتهنت نفسها أيها امتهان؛ إذ جعلت من جمالها وجسدها سلعة تعرض على أغلفة السلع وفي الفترينات وفي الصحف والمجلات، وإعلانات السينما والتلفاز وفي الملصقات التي تعلق في الشوارع والمحلات والحافلات والقطارات. كما عرَّضت نفسها للاغتصاب والابتزاز الجنسي لاختلاطها بالرجال واحترافها لأعمال نهى عنها

خالقها كما أنها قصرت في واجباتها كأم وكزوجة وكمربية ومعلمة.

ولتوضيح جوانب القصور وآثاره لابد من المصارحة والمواجهة والمكاشفة.

مصارحة ومواجهة ومكاشفة المتجمعات الإسلامية بمؤسساتها التربوية والتعليمية والإعلامية والثقافية بجوانب تقصيرها تجاه المرأة مع توضيح آثار هذا القصور على عقائد وسلوكيات وأخلاقيات وقيم أبنائها.

مصارحة ومواجهة ومكاشفة الرجل أباً أو أخاً، زوجاً أو ابناً بجوانب تقصيره في حق قوامته على المرأة؛ إذ فرط في عرضه وجعلها عرضة للفساد والابتذال.

مواجهة ومكاشفة ومصارحة المرأة لتقصيرها تجاه نفسها وظلمها لها وتقصيرها تجاه أمومتها وزوجيتها وبيتها ومجتمعها لانقيادها وراء دعاوي

تهدف هدم بيتها وزلزلة كيان مجتمعها واستباحة جسدها وانتهاك عرضها.

وليكن قوام هذه المصارحة والمواجهة والمكاشفة مكانة المرأة وحقوقها في الإسلام وواقعنا المعاصر بإيجابياته وسلبياته.

مكانة المرأة وحقوقها
في الإسلام وواقعنا المعاصر

إن نظرة تأمل منا في تاريخ المرأة لدى الأمم والتشريعات القديمة وفي النصوص الإسرائيلية الأولى وفي الفقه الكنسي المسيحي، وكذلك في القوانين الوضعية الحديثة نجد أن جميعها قد أجمع على:

١ - إلصاق تهمة الخطيئة الأزلية بالمرأة.

٢ - نفي إنسانيتها واعتبارها مخلوقاً نجساً.

٣ - حرمانها من الأهلية الحقوقية والمالية وإعتبارها قاصراً.

٤ - عبودية المرأة للرجل وأنها خلقت لخدمته ومتعته.

وجاء الإسلام فأنصف المرأة وكرمها واحترمها وصان عرضها وحرص على طهرها وعفافها.

١ - فأزال عنها تهمة الخطيئة الأزلية.

٢ - اعترف بإنسانيتها، وأعلن مساواتها بالرجل في الإنسانية والأمور التكليفية وأنها شقيقته.

٣ - منحها الأهلية الحقوقية المالية.

٤ - صانها من عبث الشهوات ففرض عليها الحجاب ولم يفرض عليها نفقة نفسها بل ألزم الرجل زوجاً وأباً وأخاً وابناً بنفقتها ولم يوجب عليها الخروج من بيتها للعمل التكسبي بل طالبها بالقرار في بيتها.

*****

تهمة الخطيئة الأزلية
وكيف برّأ الإسلام المرأة منها؟

وهنا قد يتساءل بعضكن: ماهي تهمة الخطيئة الأزلية؟ وكيف برّأ الإسلام منها؟

وجواباً عن هذين السؤالين أقول: تهمة الخطيئة الأزلية هي اتهام أمنا حواء بأنها هي التي أغوت أبانا آدم وجعلته يأكل من ثمار الشجرة التي حرّمها الله عليه، وكانت سبباً في إخراجه من الجنة. وقد جاء هذا الاتهام في مستهل الإصحاح الثالث من سفر التكوين؛ إذ ورد هذا النص: (فقال آدم للرب: المرأة التي جَعَلْتَها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت، فقال الرب الإله للمرأة: ما هذا الذي فعلت؟ فقالت المرأة: الحية غرتني فأكلت، فقال الرب الإله للحية: لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية، على بطنك تسعين، وتراباً

تأكلين كل أيام حياتك، وأضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه. وقال للمرأة: فكثيراً أكثر أتعاب حملك، بالوضع تلدين أولاداً وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك. وقال لآدم: لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً لا تأكل منها (ملعونة الأرض بسببك).

وترد قصة الشجرة في القرآن الكريم مخالفة لما هو في العهد القديم، ففي القرآن لا وجود ولا ذكر للحية.. وفي القرآن الشيطان يوسوس لآدم مباشرة فيأكل آدم وتأكل زوجته معه على عكس ما جاء في العهد القديم والمسؤولية في القرآن تقع أولاً على آدم ثم على زوجته وفي القرآن الكريم يغفر الله لآدم ويتوب عليه ويجتبيه ويولد المرء بريئاً من كل ذنب، وفي العهد القديم والجديد يقع الإثم كله على حواء ثم ينتقل بعد ذلك إلى ذريتها أَبَدَ الآبدين. والبكن

قصة الشجرة وبراءة حواء كما جاءت ف القرآن الكريم، يقول جل شأنه في سورة طه: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾
[طه: ١١٥-١٢٢]

واضح من الآيات القرآنية أن آدم وحده هو الذي كلفه الله ولم يجد له صبراً، وهو وحده الذي تلقى التحذير من عداوة إبليس له ولزوجه حتى لا يخرجهما معاً من الجنة، وهو وحده الذي وسوس إليه الشيطان، وهو وحده الذي انخدع بإغواء الشيطان له بالخلود وبملك لا يبلى. ومن الناحية

اللغوية نجد (الفاء) في قوله تعالى: ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا ﴾ دلالة يشهد بها منطق اللغة على أن ما جرى من أكل حواء مع آدم من الشجرة المحرمة، وظهور سوءاتهما لهما إنما جاء نتيجةً لسبب سابق واضح هو وسوسة الشيطان لآدم وحده.

أما عن الخطيئة الأزلية في الأحاديث النبوية الصحيحة فلقد أوضحت الأحاديث ما أثبته القرآن الكريم من مسؤولية آدم وحده في هذه الخطيئة فجاء في صحيح مسلم هذا النص: «فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول آدم: هل أخرجكم من الجنة إلاّ خطيئة أبيكم آدم؟ لست بصاحب ذلك».

وهكذا نجد أن القرآن الكريم والسنة النبوية قد نفيا عن المرأة تهمة الخطيئة الأزلية خلافاً لما نصت عليه كتب العهد القديم والجديد المحرَّفة.

وبالرغم من هذه البراءة التي أعلنها الله عز وجل إلاّ أننا نجد الكثير من المسلمين لا يزالون يلصقون هذه التهمة بالمرأة خاصة الأدباء؛ وإذ نلحظ هذا في قصص وروايات مسرحيات بعضهم. أما المرأة فلضعف صلتها بكتاب الله لم تنف عن نفسها تلك التهمة مستدلة بما جاء في كتاب الله، بل نراها تستسلم لهذا الإتهام وتستجيب لأية دعوة توحي بإلصاق هذه التهمة بها.

أذكر أنه قبل سنوات قليلة كانت جريدة عكاظ قد خصصت للأقلام النسائية صفحة أسبوعية أسمتها (طعم التفاحة) وتسابقت الكاتبات الكويتيات للكتابة فيها مع أن مسمى الصفحة يوحي بإلصاق تهمة الخطيئة الأزلية بالمرأة.

تكريم الإسلام للمرأة ونفيه عنها العقوبات الأبدية الإسرائيلية والمسيحية في الوقت الذي اعتبرت

النصوص الإسرائيلية آلام الحمل والولادة عقوبة أبدية على الخطيئة الأزلية التي ارتكبتها حواء، نجد أن القرآن الكريم لم يكتف بإزالة تهمة الخطيئة الأزلية التي ارتكبتها حواء عنها بل رد على تلك النصوص بأنه اعتبر آلام الحمل والولادة جهاداً واستشهاداً وإليكن بيان هذا: يقول جل شأنه في سورة لقمان وهي سورة مكية:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان:١٤].

وهكذا أصبحت آلام الحمل والولادة والرضاعة في القرآن ديناً مقدساً على أعناق الأولاد يوصيهم الله بعرفانه ويحاسبهم إليه بعد أن كانت هذه الآلام قبل الإسلام عقوبة أبدية للأم بتوعدها الإله ويصبها عليها كما رأينا في النص الإسرائيلي المحرف.

ثم ننتقل إلى صورة أخرى لنرى القرآن الكريم يزيد هذا المعنى وضوحاً فيقول جل شأنه:

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ﴾ (الأحقاف:١٥).

وبالرجوع إلى أسلوب القرآن الكريم نفسه نجده يورد لفظ (كره) عن أهوال الجهاد في سبيل الله وتضحيات الأبطال في ساحات الفداء والقتال فيقول الحق سبحانه وتعالى:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ (البقرة:٢١٦).

وكما رأينا فإن القرآن يعتبر احتمال الكره في آلام الحمل والوضع جهاداً.. وسوف نرى النبي ﷺ يؤكد ذلك أيما تأكيد إذ يبشر الأم إذا لقيت ربها في حملها أو وضعها بثواب من احتملوا كره الجهاد وهم الشهداء، فقد روى أحمد بن حنبل والطبراني عن عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال في حديث

طويل «...... وفي النساء يقتلها ولدها جمعاً شهادة». كما روى أحمد بن حنبل وبإسناد حسن عن رسول الله ﷺ أنه قال في حديث طويل «... والنُّفساء يجرها ولدها بسرره إلى الجنة».

ولنتأمل معاً هذه الصورة للجنين وهو يجر أمه إلى الجنة بروابط جسمه إلى جسمها وكأنه شاهد على استشهادها أثناء ولادتها إياه، ومعروف في المنطق البياني للغة أن مثل هذا الحرص في التعبير على مثل هذا التصوير إنما هو الترسيخ والتأكيد للصورة. كما روى أبو داود والنسائي أنه قال: «النُّفساء في سبيل الله شهيد».

فأي تكريم هذا للأم إذ جُعل موتها أثناء الحمل والولادة شهادة فتستعذب الألم في بسالة المجاهدين وتواجه الخطر بابتسام الشهداء، لا تتلظى بشعور العقوبة الأبدية للخطيئة الأزلية وهي تعاني أهوال الحمل ولذا كانت الجنة تحت أقدام الأمهات واعتبر

الرسول ﷺ الأم أحقَّ الناس بالصحبة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمُّك، قال: ثم من؟ قال: أمُّك، قال: ثم من؟ قال: أبوك».

ولم يجعلها فقط أحق الناس بالصحبة بل فضل خدمتها على الجهاد في سبيل الله، عن طلحة السلمي رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله إني أريد الجهاد في سبيل الله، قال: أمك حية؟ قلت: نعم، قال: «ألزم رجلها فثمَّ الجنة»، رواه الطبراني. وذلك في الجهاد غير المتعين.

هذا عن الأمومة، أما الزوجية فقد اعتبر الإسلام العلاقة الزوجية مثوبةً ونعمةً في الوقت التي اعتبرتها النصوص الإسرائيلية المحرَّفة لعنة وعقوبة، يقول جل شأنه في سورة الروم:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾. [الروم:٢١]

وإن نظرة متأنية إلى هذا النص القرآني توضح لنا الآتي:

١ - أن القرآن الكريم قد بدأ هذه الآية بامتنانه على الرجال بأنعامه عليهم أن خلق لهم من أنفسهم أزواجاً من أجل انتظام استقرار أمنهم.

٢ - أن القرآن الكريم قد أعرض تماماً عما اهتم به النص التوراتي من خلق حواء من ضلع آدم، وإنما يذكر خلقها من نفس زوجها ومن صميم كيانه كله روحاً وعقلاً وجسداً.

٣ - أن القرآن الكريم يختار لفظ (أزواجاً) وهذا اللفظ بذاته ينبئ لأول وهلة عن التكافؤ والتناظر ومع أن لفظ (زوجات) صحيح في اللغة ولكن القرآن يختار اللفظ الأنسب في هذا الاستعمال.

٤ - لقد أشاح القرآن عن استعمال لفظ (الاشتياق) إذ جاء بعبارات أخرى تتسامى في الرقة والدقة فقال (لتسكنوا إليها) و (مودة) و (رحمة) ولم يقصر السكن والمودة والرحمة على النساء وحدهن وإنما جعلها بين الرجال والنساء، مشاركةً بين الجانبين على حد سواء. ثم يؤكد هذا المعنى في نص آخر فيقول جل شأنه في سورة البقرة:

﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ [البقرة:١٨٧].

ولكي تدرك ما في هذا التعبير القرآني لكلمة لباس من دلالة دقيقة على السكينة والأمن والاستقرار والدعة فلنرجع إلى معجم القرآن نفسه يقول جل شأنه: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ ﴾ [سبأ:١٠] ثم يقول تعالى:

﴿ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ﴾ [القصص:٧٢].

وهكذا نرى بوضوح: مفهوم التعبير بكلمة

اللباس، الذي عبَّر به القرآن عن السكينة بين الجنسين، كما استعمله في السكينة بالليل على حد سواء[1].

****

(١) الدكتور أحمد غنيم – المرأة منذ النشأة بين التجريم والتكريم.

إنسانية المرأة بين النفي والإثبات!

إن تهمة الخطيئة الأزلية التي ألصقتها النصوص الإسرائيلية بالمرأة ورددها الفقه الكنسي قد تبعها نفي صفة الإنسانية عن المرأة حتى طُرحت في أحد المجامع الكنسية بروما هذه التساؤلات:

- هل المرأة إنسان ذو نفس وروح خالدة؟
- وهل هي أهل لأن تتلقى الدين؟ وهل تصح منها العبادة؟ وهل يتاح لها أن تدخل الجنة في الآخرة؟

ماذا قرر المجتمعون؟

لقد قرروا (أن المرأة مجرد حيوان نجس لا روح له ولا خلود ولكن تجب عليها العبادة والخدمة، كما يجب تكميم فمها كالبعير وكالكلب العقور لمنعها من الضحك والكلام لأنها أحبولة الشيطان).

في عام ٥٨١م وقال آخرون عام ٥٨٦م انعقد

مجتمع ماكون، وجرى البحث فيه حول هذين السؤالين:

- هل للمرأة روح؟؟ وهل تعتبر في جملة البشر؟؟

وجاء هذا القرار: (إكراماً لأعضاء هذا المجتمع فإننا نبادر إلى التصريح بأنه بعد جدال طويل وعنيف تكرم المجتمع بالموافقة ولكن بأغلبية طفيفة)[1].

وهذا القرار يؤكد سيطرة التأثير العميق لقصة الخطيئة الأزلية على اعتقادات الكنيسة وأفكارها وهذا ما أكده الباحث الفرنسي (بول دي رجلا) في كتابة عن الكنيسة والزواج؛ إذ قال: (وحتى الآن فإن المرأة في نظر الكنيسة لا تزيد عن هذا الكائن الناقص الذي أنكر عليه الكنسيون من قبل مجرد أن يكون له روح، واستمرت هدفاً للذم واللوم

(١) المصدر السابق.

والوصمات التي يكيلها باباوات الكنيسة بقسوة صارخة في الخاطئة المذنبة).

وجاء الإسلام فأثبت إنسانية المرأة وأجاب على تساؤلات المجامع الكنسية فقال جل شأنه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ [الحجرات:١٣].

وقال رسول الله ﷺ: «إنما النساء شقائق الرجال».

وكما أعلن الإسلام إنسانية المرأة وأنها مساوية للرجل في الإنسانية، أعلن أنها مساوية للرجل في العبادات والحدود والعقوبات والجزاء والثواب، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية التالية تبين هذه المساواة:

أولاً: المساواة في الأجر والثواب:

يقول جل شأنه:

﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ ﴾ [آل عمران:١٩٥].

﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ ﴾ [النحل:٩٧].

﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النساء:١٢٤].

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ [التوبة:٧٢].

ثانياً: المساواة في التكاليف العبادية والطاعة لأمر الله ورسوله ﷺ:

يقول جل شأنه:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴾.

[الأحزاب:٣٦]

هـذا ولم يسقط الإسـلام أي ركـن مـن أركـان الإسلام عن المرأة لكونها أنثى.

ثالثاً: المساواة في الحدود والعقوبات:

لقـد سـاوى الإسـلام بـين المـرأة والرجـل في الحـدود والعقوبات ولم يسقط عنها حداً أو عقوبة لكونها أنثى، فإن قتلت تُقتل، إن سرقت قطعت يدها، وإن زنت وهي غير محصنة جلدت، وإن زنت وهي محصنة وأقرت بزناها رُجمت حتى الموت، مثلها مثل الرجل تماماً سواء بسواء.

يقول جل شأنه:

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور:٢].

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا ﴾ .
[المائدة:٣٨]

رابعاً: المساواة في الأهلية الحقوقية والمالية:

لقـد حكمـت الأمـم والتشـريعات القديمـة علـى المـرأة بأنهـا قاصـر وجـاء الإسـلام وأزال عنهـا هـذه

﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ ﴾ [آل عمران:١٩٥].

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ ﴾ [النحل:٩٧].

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ ﴾ [النساء:١٢٤].

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ [التوبة:٧٢].

ثانياً: المساواة في التكاليف العبادية والطاعة لأمر الله ورسوله ﷺ:

يقول جل شأنه:

﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾.

[الأحزاب:٣٦]

هـذا ولم يسقط الإسلام أي ركن من أركان الإسلام عن المرأة لكونها أنثى.

ثالثاً: المساواة في الحدود والعقوبات:

لقد ساوى الإسلام بين المرأة والرجل في الحدود والعقوبات ولم يسقط عنها حداً أو عقوبة لكونها أنثى، فإن قتلت تُقتل، إن سرقت قطعت يدها، وإن زنت وهي غير محصنة جلدت، وإن زنت وهي محصنة وأقرت بزناها رُجمت حتى الموت، مثلها مثل الرجل تماماً سواء بسواء.

يقول جل شأنه:

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ﴾ [النور:٢].

﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا ﴾.
[المائدة:٣٨]

رابعاً: المساواة في الأهلية الحقوقية والمالية:

لقد حكمت الأمم والتشريعات القديمة على المرأة بأنها قاصر وجاء الإسلام وأزال عنها هذه

التهمة، وأعطاها شخصية حقوقية كاملة، فأقر بأهليتها الكاملة مانحاً لها حق الولاية على مالها والتصرف فيه حسب ما تشاء شأنها شأن الرجل في ذلك على حد سواء إذ وهبها جميع حقوقها المدنية فلها الحق في عقد العقود من بيع وشراء وإجارة وشركة وقرض ورهن وهبة وغير ذلك وليس لأحد أن يتدخل باسم الشرع والقانون أياً كان. قال تعالى: ﴿ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ [النساء:٦].

هذا الحق الذي منحه الإسلام للمرأة نجد القانون الفرنسي المدني يحرم المرأة من هذا الحق إذ جاء في صدر المادة ٢١٣ من هذا القانون الآتي:

أ - ليس للمرأة أن تتصرف أي تصرف في أي شيء ولو كان من مالها الذي كانت تملكه قبل الزواج إلاّ بإذن زوجها.

ب - ليس لها جنسية بعد الزواج إلاّ جنسية زوجها.

ج - فور الزواج تفقد اسم أسرتها لتحمل اسم زوجها.

وجاء في المادة ١١٢٤ من القانون الفرنسي هذا النص (ولا يتمتع بأهلية التعاقد ثلاثة: القاصرون والمحجور عليهم والنساء المتزوجات في الحالات التي حددها القانون).

وقد ثار أحد عمداء الفقه الكنسي على هذه المادة وقال عنها: (إنها تضع المرأة المتزوجة بين القاصرين بجوار المجانين والأطفال)(١).

ومن حقوق المرأة المالية في الإسلام حق الإرث من أقاربها عند وفاتهم مثلها مثل الرجل وقد حرمت من هذا الحق ردحاً طويلاً من الزمن لدى أكثر الأمم. قال تعالى: ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ

(١) الدكتور أحمد غنيم: المرأة منذ النشأة بين التجريم والتكريم.

نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ ﴾ [النساء:٧].

وقد كانت المرأة محرومة من هذا الحق لدى العرب في الجاهلية بل أنها فوق ذلك كانت سلعة تورث كما يورث المتاع حتى جاء الإسلام وحرَّم ذلك في قوله جل شأنه:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ﴾ . [النساء:١٩]

خامساً: المساواة في طلب العلم:

لقد جعل الإسلام طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، قال رسول الله ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»، ولفظ (مسلم) هنا يشمل المسلمين جميعاً ذكوراً وإناثاً».

سادساً: المساواة في حرية اختيار الزوج:

فكما منح الإسلام الرجل حرية حق اختيار

زوجه فكذلك منح هذا الحق للمرأة، وذلك ليضمن لها حياة زوجية هانئة إذ لا يصح عقد زواجها إلا بموافقتها ورضاها، وإذا زوجت بدون رضاها فلها حق فسخ العقد، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن» قالوا يا رسول الله فكيف إذنها؟ قال: «أن تسكت».

وروى أحمد والنسائي من حديث عبدالله بن بريدة عن أبيه قال: جاءت فتاة إلى رسول الله ﷺ فقالت: إن أبي زوجني من ابن أخيه ليرفع به خسيسته قال: فجعل ﷺ الأمر إليها فقالت: قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن أعلم الناس أنه ليس إلى الآباء من شيء. تقصد أنه لا يجوز لهم إكراه بناتهم على الزواج بما لا يرضينه[1].

(١) اخرجه ابو داود واحمد والنسائي وابن ماجه.

سابعاً: المحافظة على شخصية المرأة المسلمة بعد الزواج واحتفاظها بجنسيتها واسم عائلتها إذ لا تنسب إلى الزوج ولا تنقل إلى جنسيته كما نص القانون المدني الفرنسي.

وهكذا أخواتي المسلمات – كما ترين – فإن الإسلام ساوى بين المرأة والرجل في هذه الأمور إلا أنه أوجد فروقاً بينهما في بعض الأمور، وهذه الفروق أو الإختلافات لا تتعلق البتة بإنسانية المرأة ولا بعقلها، وإنما ترجع إلى اختلاف الوظائف الفطرية لكل منهما. وهذا أمر طبيعي فاختلاف الوظائف يترتب عليه اختلاف في الحقوق والواجبات. ونحن لو تمعنا في الأمور التي تساوى في الذكر والأنثى نجدها تتعلق بالأمور التي لا علاقة لها بالوظائف الفطرية لكل منهما وهي الأمور التكليفية.

إن مناط التكليف العقل، والمرأة والرجل

متساويان في الأمور التكليفية أي أنهما متساويان عقلاً ولو كانت المرأة دون الرجل عقلاً لسقطت عنها بعض التكاليف كسقوطها عن الصغير والمجنون والمعتوه.

إن مهمة الأنثى في الحياة تختلف عن مهمة الذكر ولو تساويا في المهمات لما استقامت الحياة، فوجود عنصرين أو جنسين يدل على أن كلاً منهما يكمل الآخر فلا تستقيم الحياة وتكتمل وتتواصل إلا بوجودهما معاً ويؤدي كل منهما وظائفه الفطرية.

واختلاف الوظائف ترتب عليه اختلافات في التكوين النفسي والعاطفي والجسدي، فالمرأة ليست كالرجل من حيث الأعضاء، ومن حيث العاطفة، ومن حيث القدرة على تحمل مشاق الحياة، فالمرأة مكلفة بالإنتاج البشري والعناية به وتربيته، وقد خلقها الله على الصورة والهيئة والكيفية التي

تؤهلها لذلك، وزودها بطاقات وقدرات وانفعالات تساعدها على القيام بمهمتها. والرجل مكلف بالإنتاج المادي لتوفير ما يحتاجه الإنتاج البشري وأهله الله للقيام بدوره ولذا قال جل شأنه:

﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران:٣٦].

فمنشأ الفروق والاختلافات بين الجنسين هو اختلاف الوظائف والمهمات.. فكما الرجل لا يستطيع أن يقوم بأعمال المرأة من حمل وولادة ورضاعة وعناية بالأطفال وتربيتهم فبالمقابل لا تستطيع المرأة القيام بأعمال الرجل وتبعاً لهذا جاءت الفروق.

****

الفروق بين الرجل والمرأة

من هذه الفروق:

١ - إعطاء حق القوامة للرجل:

وأعطي هذا الحق لأنه المسؤول عن النفقة وقد أهّله الله للقيام بهذه المسؤولية فجعله أكثر من المرأة تحكيماً لعقله لمعالجة مختلف الأمور لأن طبيعة وظيفته تتطلب منه التعامل مع نوعيات مختلفة من البشر، فعليه أن يحكِّم عقله قبل عاطفته لكونه مسؤولاً عن حقوق الآخرين، أما المرأة فبحكم أمومتها وزوجيتها فهي أكثر تحكيماً لعاطفتها.

يقول جل شأنه: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة:٢٢٨].

وهذه الدرجة هي القوامة وتوضيح ذلك هذه الآية التالية في سورة النساء:

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ (النساء:٣٤).

فالله جل شأنه أعطى للرجل القوامة؛ لأنه المسؤول عن النفقة وهذا من حقه، فالرئاسة لا تكون لأثنين ومادام الرجل هو المسؤول عن النفقة وأهله الله للقيام بهذه المسؤولية فهو الأصلح لقيادة الأسرة، والمرأة أخذت مقابل هذا الحق: حقاً عظيماً يغبطها عليها الرجل إذ جعلت الجنة تحت أقدام الأمهات وخص الله الأم بالوصية في الإحسان إليها وجعل رسول الله ﷺ الأم أحق الناس بالصحبة وفضل خدمتها على الخروج للجهاد واعتبر وفاتها أثناء الحمل والولادة شهادة، فكسب الأم هنا كسب أخروي وهو خير وأبقى وأيضاً كسب دنيوي.

٢ - الاختلاف في الإرث:

هذا وقد ترتب على قوامة الرجل مسؤوليات

والتزامات مادية كبرى فالرجل مسؤول عن النفقة عن أمه وزوجه وبناته وأخواته إن فقدان المعيل ولا يعفى من نفقة زوجه حتى ولو كانت غنية وعليه أن يدفع مهراً لزوجه وأن يؤثث بيت الزوجية وتبعاً لهذه الالتزامات كانت دية الرجل ضعف دية المرأة لأن الأسرة بموته قد فقدت معيلاً، كما كان للرجل مثل حظ الأنثيين في الميراث في بعض الحالات، إذ أننا لو رجعنا إلى أحكام المواريث نجد أن المرأة في بعض الحالات ترث مثل الرجل تماماً إذ تأخذ الأمس السدس مثل الأب تماماً وذلك في حالة وفاة الابن، والأخ لأم والأخت لأم يأخذان الثلث بينهما مناصفة. ففي هاتين الحالتين تساوت المرأة والرجل في الإرث وقد يكون نصيب المرأة أكثر من الرجل وذلك إذا مات إنسان وله أخت شقيقة كان لها النصف في حين أنه لو كان مكانها أخ شقيق كان له الباقي بعد أصحاب الفروض. وفي هذا رد على ما يوجه إلى

الإسلام من إتهام باطل أنه غمط المرأة حقها في الإرث فأعطاها نصف نصيب الرجل، فكما اتضح لنا أنها قد ترث مثله وقد ترث أقل منه وقد ترث أكثر منه وذلك بناء على القرابة والعصوبة[1]. والمرأة في أحوال إرثها أقل من الرجل لا تعتبر مغبونة أبداً؛ لأن الإسلام أعفاها من الإنفاق.

يقول جلَّ شأنه:

﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا

(١) العصوبة: القرابة من الأب.

تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى الثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ ﴾ [النساء:١١ -١٢].

٣ - قرار المرأة في البيت:

وتبعاً لمسؤولية النفقة المكلف بها الرجل لم يوجب الإسلام العمل على المرأة بل دعاها للقرار في بيتها لتقوم بواجباتها الأسرية المكلفة بها لأداء وظيفتيها الفطريتين الأمومة والزوجية، ولصيانتها من مخاطر الخروج من بيتها للعمل فقال جل شأنه ﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ ﴾ [الأحزاب:٣٣].

وقد يتساءل البعض: مادامت المرأة الآن مسؤولة عن النفقة على بيتها مثل الرجل تماماً بعد خروجها للعمل التكسبي، فلماذا لا يكون لها حق القوامة، ولماذا لا يكون لها مثل حظ الرجل في الإرث؟

وهذا بالفعل ما طالبت به إحدى الصحفيات المشهورات وهي أمينة السعيد إذ قالت: (إنني لا أطمئن على حقوق المرأة إلاّ إذا تساوت مع الرجل في الميراث)، وقالت عن القوامة: (القوامة اليوم لا مبرر لها لأن هذه القوامة مبنية على المزايا التي كان الرجل يتمتع بها في الماضي في مجال الثقافة والمال، ومادامت المرأة استطاعت اليوم أن تتساوى مع الرجل في كل المجالات فلا مبرر للقوامة).

وأقول رداً على السؤالين السابقين وعن أقاويل أمينة السعيد:

إن الأصل بقاء المرأة في بيتها وقيام الرجل بالنفقة

عليها فالإسلام لم يلزم المرأة بالخروج من بيتها للعمل التكسبي ولم يلزمها بالنفقة على بيتها بل دعاها للقرار في بيتها وألزم الرجل بالنفقة عليها أباً كان أو زوجاً، ابناً كان أو أخاً. فإن كانت هي قد خالفت هذه القاعدة الشرعية وفرَّطت في حقها الشرعي فهذه مسؤوليتها هي وهذا نتيجة لخطئها، ولن يسلب الإسلام الرجل ما أعطاه من حقوق مقابل تفريط المرأة في حقوقها.

٤ - الاختلاف في نوعية العلم:

هذا وتبعاً لمسؤوليات الرجل للقيام بالنفقة يترتب على هذا مزاولة كل أنواع العمل الشريف المباح ليُدخل على بيته مالاً حلالاً طيباً لذا فله أن يمارس كل الأعمال والمهن المباحة شرعاً وعليه أن يسعى لطلب الرزق ﴿ فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ [الملك:١٥]، وبناءاً عليه فله أن يتعلم العلوم التي تؤهله للقيام بتلك الأعمال وهذه المهن.

وهنا نشأت الفروق في نوعية العلوم التي تتعلمها المرأة، فالرجل والمرأة فرض عليهما طلب العلم وتساويا في طلبه ولكنهما اختلفا في نوعية العلم الذي يتعلمه كل منهما لاختلاف وظيفة ودور كل منهما في هذه الحياة.

فالمرأة مفروض عليها أن تتعلم أمور دينها بل عليها أن تتفقه في هذا الدين حتى لا تقع فريسة لدعاوي المغرضين ولنا في أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قدوة، فقد كانت عالمة فقيهة أفادت أمتها بعلمها ودينها فجهل المرأة المسلمة المعاصرة بدينها وبمكانتها في الإسلام وحقوقها فيه جعلها تصل إلى ما وصلت إليه الآن من تحلل وفساد، إذ انقادت وراء شعارات أدت بها إلى التهلكة والدمار وفرطت في الكثير من حقوقها وترتب على ذلك التقصير في الكثير من واجباتها.

كما على المرأة أن تتعلم العلوم التي تساعدها على القيام بواجباتها الأسرية والتربوية، كما عليها أن تلم بتاريخ أمتها ماضيه وحاضره وما يحدث في هذا العالم من أحداث وما يحالك ضد أمتها من مؤامرات وما تتعرض له من غزو فكري هدفه زعزعة عقائد المسلمين وخلخلة كيان الأسرة المسلمة وتشتيتها وتفتيتها. كما عليها أن تلم بكل التطورات العلمية الحديثة في مختلف المجالات وذلك لتستطيع التعامل مع زوجها وأولادها والتجاوب معهم بتفهم مشكلاتهم والمشاركة في تحقيق طموحاتهم وآمالهم.

ومن الأخطاء الجسيمة التي وقعت فيها المجتمعات الإسلامية أنها ساوت بين الذكور والإناث في نوعية المناهج التي تدرس لكل منهما، ولم تراع الفروق في الوظائف والواجبات، كما جعلت الهدف من تعليم المرأة هو العمل، وأنه لا قيمة للعلم الذي تتعلمه إذا لم تتوظف وتعمل. وهذا

تخطيط من أعداء الإسلام ليجعلوا النساء يتركن مسؤولياتهن الأساسية ويخرجن للعمل ويتعرضن إلى مخاطره فتشيع الفاحشة في المتجتمعات الإسلامية ويعمها الفساد وهذا ما هو حاصل الآن. فللمرأة أن تعمل في المجالات التي تتناسب مع وظيفتيها الفطريتين والتي تستدعي الضرورة الإجتماعية قيامها بها كتدريس وتطبيب وتمريض بنات جنسها وتقديم الخدمات الإجتماعية لهن على أن تخفض ساعات عملها فلا تتساوى مع الرجل في ساعات العمل لتتمكن من آداء واجباتها الأسرية، كما أن تزاول هذه الأعمال بعيداً عن الاختلاط وإذا شاب بعض هذه الأعمال نوعاً من الاختلاط فعليها أن تطالب بحقها في تجنيبها هذا الاختلاط. ومجتمعها مسؤول عن هذا وفي حالة عدم الاستجابة من واجبها ترك العمل.

٥ – للرجل تولي الحكم وقيادة الجيوش والقضاء:

وتبعاً لمؤهلات القوامة فقد جعل من نصيب الرجل تولي الحكم والقيادة للجيوش وتولي القضاء، فالمرأة بطبيعتها العاطفية المستلزمة لوظيفتها لا تصلح للقيام بهذه المسؤوليات التي تتطلب تحكيم العقل والتفرغ التام والاختلاط بالرجل، كما أنها لا تتناسب مع المرأة وتكوينها الفطري؛ إذ مسؤولياتها تنحصر في تربية وإعداد الرجل للحكم والقيادة وتولي القضاء وكل الوظائف القيادية التي لا يستقيم شأن الأمة إلا بها ولكن ليس لها أن تمارس هذه الأعمال.

هذا وإن كانت بعض الدول الإسلامية جعلت رئاسة الوزارة لإمرأة ونصبت وزيرات في وزاراتها فهذا لا يجيزه الإسلام.

والله سبحانه وتعالى خص الرجال بالنبوة لأنها

تتطلب قدرات لا تتوفر في المرأة فلم يجعل من النساء نبيات ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ [الأنعام:١٢٤]، ويقول جل شأنه: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء:٧].

لقد كرَّم الله المرأة فجعلها أماً لأنبياءه بل جعل أحد أنبيائه ينسب إلى المرأة وهو عيسى بن مريم – عليه السلام – ولم يجعل له أباً.

٦ – إباحة زواج المسلم من كتابية وتحريم زواج المسلمة من كتابي:

ولما كانت القوامة للرجل فلقد حرَّم الإسلام زواج المسلمة من كتابي وذلك لأنه لا ولاية لكافر على مسلم فالكتابي ليس أميناً على المسلم وعلى محافظتها على دينها وهذا تكريم للمرأة المسلمة ما بعده تكريم وقد أباح الإسلام للرجل الزواج من الكتابية لأن له الولاية والقوامة فلا ضير في هذا.

ومما يؤسف له أن دعاة أنصار المرأة من المسلمين ينادون بزواج المسلمة من كتابي، وفي مقدمة هؤلاء الأديب الراحل إحسان عبدالقدوس؛ إذن نجده يعارض تحريم الإسلام زواج المسلمة من كتابي وينادي بضرورة إعادة النظر في هذا التحريم، بل تجرأ على الله وأباح زواج المسلمة من يهودي في قصته (كانت صعبة ومغرورة)، وأوجد مبررات واهية لإقناع المسلمة بالزواج من اليهودي، كما نجده في قصة (الله محبة) دعا الفتيات المسلمات إلى تغيير دينهن في سبيل الزواج ممن أحببنهم من المسيحيين وجعل الدين مجالاً للمقامرة. ودعا في مقدمة قصته هذه إلى إعادة النظر في تحريم الإسلام للزواج من غير مسلم، كما دعا في هذه القصة إلى توحيد الأديان كالبهائيين لتتمكن المسلمات من الزواج بغير المسلمين.

٧ – مطالبة المرأة والرجل بغض البصر وحفظ الفرج، ومطالبة المرأة بالحجاب:

اختلاف المرأة والرجل في الوظائف والمهام ترتب عليه أن جعل الله الرجل هو الذي يسعى وراء المرأة وهو الذي يطلبها، وجعل المرأة تفتن الرجل وتجذبه، ولذلك فرض الله عليها الحجاب درءاً للفتنة فلا تبدي زينتها ومفاتنها إلاَّ لزوجها فهو الوحيد الذي له الحق في رؤية جمالها ومفاتنها، كما أوجب على الرجل صيانة المرأة والمحافظة عليها. وهذا من واجبات القوامة ولا يجعلها عرضة لأنظار الرجال، فالحجاب فُرض على المرأة حماية لها وصيانة لعرضها وحفظاً لكرامتها ومنعاً من إيذائها، يقول تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ ﴾ [الأحزاب:٥٩].

والرجل والمرأة مطالبان بغض البصر وحفظ الفرج، يقول جل شأنه:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور: ٣٠ - ٣١].

فهنا الرجل والمرأة مطالبان بغض البصر وحفظ الفرج ونظراً لشدة جذب المرأة للرجل طُولبت بالالتزام بالحجاب عن الرجل الأجنبي عنها وعدم إبداء زينتها له حتى لا تثير فيه كوامن الشهوة ليلتزم الإثنان بغض البصر وحفظ الفرج.

إذاً الغاية من الحجاب هو غض البصر وحفظ الفرج أي صيانة الأعراض وحماية المرأة من الابتذال وصون جمال المرأة والحرص على عفافها وليس حبساً وقهراً كما يصوره أعداء الإسلام - من أسموا

أنفسهم بأنصار المرأة - فالحجاب لم يكن قط حبساً وقهراً للمرأة بل هو رمز لتحريرها من عبودية الاستمتاع بجسدها، فالمرأة المسلمة وهي في كنف الحجاب تستطيع أن تعبر بحرية عن رأيها، وتشارك في مناقشة وحل قضايا أمتها وبنات جنسها دونما أن تتعرض لامتهان أو ابتذال، فيقدر الجميع رأيها لرجاحته وحكمته ولقيمته العلمية، وليس لجمالها ومواطن الافتتان بها. وهذه قمة التشريف للمرأة. والمرأة السعودية - بفضل الله وحمده - هي الوحيدة من نساء العالم المعاصر التي نالت هذا التشريف.

٨ - تعدد الزوجات وتحريم تعدد الأزواج:

نظراً لقيام المرأة بأعباء الحمل والولادة وحفظاً للأنساب وحمايةً للمرأة من ذل عبودية متعة الجسد حُرِّم على المرأة تعدد الأزواج وأباح الله التعدد للرجل فقط بشرط العدل إن لم تحصنه زوجة واحدة أو لعقم

زوجه أو لمرضها أو لكراهيته عشرتها، وأباح له التعدد شريطة ألاّ يجمع بين أختين أو بين الابنة وخالتها أو عمتها، يقول تعالى: ﴿ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً ﴾ [النساء:٣].

٩ - الطلاق بيد الرجل وشهادة امرأتين برجل واحد:

نظراً لقيام المرأة بأعباء الأمومة والتربية ولما يتطلبانه من عطف وحنان جعل الله المرأة أكثر حناناً وعطفاً من الرجل وتبعاً لهذا فهي تُحكم عاطفتها أكثر من تحكيم علقها لذا لم يجعل الإسلام الطلاق بيدها لأنها أكثر إنفعالاً وقد تطلق لأتفه الأسباب.

وكذلك جعل شهادة امرأتين برجل واحد لأن الشهادة تتطلب الدقة وصفاء التفكير وقوة الذاكرة والمرأة بحكم أمومتها وزوجيتها فتفكيرها في الغالب ينصب على بيتها وزوجها وأولادها وهي

عرضة للنسيان خاصة إذا كانت حاملاً أو نفاساً أو تعاني من آلام الحيض، لهذا جعل شهادة اثنتين برجل وذكر العلة في ذلك أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى، قال تعالى:

﴿ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ﴾ [البقرة:٢٨٢].

هذا باختصار أهم الفروق بين الرجل والمرأة، وهي كما رأينا لا تمس إنسانية المرأة ولا عقلها إذ جاءت هذه الفروق تبعاً لاختلاف الجنسين في الوظائف والمهام وما ترتب على هذا الاختلاف من مسؤوليات والتزامات.

****

موقف المجتمعات الإسلامية من المرأة

فالمرأة في الإسلام - كما تبين لكن - تتمتع بحقوق لم تنالها نساء العالم وتحسدها عليها المرأة غير المسلمة. ولو نالت حقوقها كاملة لما كانت حال المسلمين هذه الحال التي عليها الآن. ولكن.. المجتمعات الإسلامية - للأسف الشديد - لم تمنح المرأة هذه الحقوق بل تجدها انساقت وراء تيارات التغريب والتنصير التي خططت لها الصهيونية العالمية ونفذها تلامذة الغرب المستغربين من أبناء الإسلام وفي مقدمتهم قاسم أمين؛ إذن نجد في كتابه المرأة الجديدة الذي صدر سنة ١٩٠٠م وفي فصل (التربية والحجاب) شن هجوماً شديداً على الإسلام ونفى عنه كل تمدن وتقدم بل نفى عنه العدالة والنظام، كما نجده هاجم الحجاب الهجوم كله؛ إذ يقول: (لو لم يكن في

الحجاب عيباً إلاَّ أنه منافٍ للحرية الإنسانية وأنه صار بالمرأة إلى حيث يستحيل عليه أن تتمتع بالحقوق التي خولتها لها الشريعة الغراء والقوانين الوضعية فيجعلها في حكم القاصر لا تستطيع أن تباشر عملاً ما بنفسها مع أن الشرع يعترف لها في تدبير شؤونها المعاشية بكفاءة مساوية لكفاءة الرجل وجعلها سجينة مع أن القانون يعتبر لها من الحرية ما يعتبره للرجل)، ويستطرد قائلاً: (لو لم يكن في الحجاب إلاَّ هذا العيب لكفى وحده في مقته وفي أن ينفر منه كل طبع غرز فيه الميل إلى احترام الحقوق والشعور بلذة الحرية، ولكن الضرر الأعظم للحجاب فوق جميع ما سبق هو أنه يحول بين المرأة واستكمال تربيتها)[1].

والتربية التي يدعو إليها قاسم أمين هي تقبيل النساء للرجال الأجانب واعتبر هذا من الفضائل إذ

(١) ص ١٠٩.

يقول: (رأيت مدة وجودي في فرنسا طفلاً عمره عشر سنين كان يتفرج بجانبي على فرقة من العساكر الفرنساوية وهي عائدة من حرب التونكين فلما مرَّ أمامه حامل العلم وقف هذا الغلام باحترام ورفع قبعته وحيى العلم وصار يتابعه بنظراته حتى غاب عنه، فأحسسن أن الوطن تجسَّم لهذا الطفل في العلم الذي مر أمامه وأثار فيه جميع الإحساسات التي بعثها فيه ما تربى عليه من حبه حتى خلته رجلاً كاملاً. أما الرجال والنساء الذين كانوا يشهدون هذا المنظر فقد وصلت بهم قوة الشعور إلى أنهم صاروا يعملون أعمال الأطفال فكان الكثير من النساء يقبِّل العساكر ودموع الفرح تسيل على خدودهن، وأغلب الرجال كانوا يرقصون ويغنون ويلقون بقبعاتهم في الطريق)، ثم يقول: (بمثل هذه المناظر وبما يدور فيها وعنها من الأحاديث أمام

الأطفال ينغرس الشعور الوطني في نفوسهم ويزهر ويثمر وهكذا الحال في تربية الفضائل الأخرى)[1].

ولم يكتف بهذا بل لا يمانع من أن تمر المرأة المسلمة بنفس الأطوار التي مرت بها المرأة الغربية في سبيل الحصول على ما أسماه حرية الفكر والعمل، فيقول: (وبالجملة فإننا لا نهاب أن نقول بوجوب منح نسائنا حقوقهن في حرية الفكر والعمل، بعد تقوية عقولهن بالتربية حتى لو كان من الحق أن يمررن في جميع الأدوار التي قطعتها وتقطعها النساء الغربيات)[2].

هذا بعض ما نادى به قاسم أمين، وقاسم أمين بعث إلى فرنسا وهو في سن العشرين، بعد حصوله على ليسانس الحقوق الفرنسية من مصر، ولقد أثرت رحلته إلى فرنسا – كما يقول الأستاذ محمد

(١) المرأة الجديدة ص١٠٤.

(٢) المصدر السابق ص١٠٨.

قطب - وهو في هذه السن - تأثيراً بالغاً في كيانه كله فعاد إلى مصر بفكر جديد وعقل جديد ووجهة جديدة؛ إذ دعا كما رأينا إلى تحرير المرأة من دينها وسيرها على نهج المرأة الغربية وهو ما رسمه أعداء الإسلام للمرأة المسلمة لتتهدم بذلك الأسر المسلمة ويتخلخل بنيان المجتمع الإسلامي.

وأصبح بذلك للمرأة المسلمة قضية يدور حولها الجدل هي السفور والحجاب وتبنى القضية فريق من النسوة على رأسهن هدى الشعراوي وفريق من الرجال المدافعين عن حقوق المرأة وأصبح الحق الأول والذي تطالب به النسوة هو السفور.

والذي يؤكد أن الدعوة إلى السفور مؤامرة مدبرة ضد المرأة المسلمة هو ما قامت به بعض النساء المصريات سنة ١٩١٩م؛ إذ خرجن في مظاهرة ضد الإنجليز وعند ميدان الإسماعيلية (ميدان التحرير

الآن) وأمام ثكنات الجيش البريطاني وفجأة وبلا مقدمات خلعت النسوة الحجاب وألقين به في الأرض وسكبن عليه البترول وأشعلن فيه النار!!

والسؤال هنا ما علاقة الإنجليز بالحجاب؟ هل الإنجليز هم الذين فرضوا عل المرأة الحجاب فأعلن النسوة الثورة عليهم وفي مظاهرة ضد الإنجليز وأمام ثكنات جيشهم يخلعن الحجاب ويشعلن النار فيه؟ أليس هذا دليلاً على أن في الأمر تدبيراً؟ وأعقب السفور التعليم المختلط وخروج المرأة للعملَ ووُجد أنصار التعليم المختلط وخروج المرأة للعمل في الجامعات والصحافة والأدب، إذ أدخل الدكتور طه حسين الفتاة الجامعة سراً. وهكذا تحولت بيئة الجامعة إلى مجتمع متحلل من الضوابط الإجتماعية التي عضرتها الجماعة الإسلامية والعمل من غير هوادة لشيوع وتطبيق أهواء تتعارض كل التعارض مع الضوابط الإسلامية السامية.

الصحافة والدعوة إلى تحرير المرأة

تبنى هذه الدعوة عدد من حملة الأقلام المسمومة في مقدمتهم أمينة السعيد وروز اليوسف وليس عوض ونجيب محفوظ ومصطفى أمين ويوسف إدريس وأنيس منصور وإحسان عبدالقدوس وغيرهم.

فقد هاجمت أمينة السعيد الحجاب ووصفته بأنه كفن ككفن الموتى، إذ تقول (وعجبت لفتيات مثقفات كيف يلبس أكفان الموتى، وهن على قيد الحياة).

أما أنيس منصور فيقول في إحدى مقالاته في جريدة أخبار اليوم القاهرية (إنه زار إحدى الجامعات الألمانية ورأى هناك الأولاد والبنات أزواجاً أزواجاً مستلقين على الحشائش في فناء الجامعة: قال – فقلت: في نفسي متى أرى ذلك المنظر في جامعة أسيوط لكي تراه عيون أهل الصعيد وتتعود عليه).

أما إحسان عبدالقدوس فقال في إحدى مقالاته بمجلة روز اليوسف (إنني أطالب كل فتاة أن تأخذ صديقها في يدها وتذهب إلى أبيها وتقول له هذا صديقي).

ويقول محرر بجريدة النهار البيروتية في مقالة عنوانها: (امرأة بلادي والفسق والجنس) جاء فيه: (لنتحدث عن حرية المرأة، دعوني أعترف لكم فوراً، إن حرية المرأة ليس لها غير معنى واحد، إنه المعنى الجنسي. المرأة في نظري هي مصب الأشواق والشهوات، هي مخلوقة.. غرامية لا معنى لها خارج الوجد والعشق والجنس)، ثم يقول متسائلاً: (ما هي حرية المرأة؟ حريتها الحقيقية هي حرية العلاقة الجنسية مع الجنس الآخر أو حتى مع بنات جنسها أو مع الجنسين معاً.. والرجل ما هو دوره؟ عليه أن يُحرِّض المرأة على الحرية: إنني أطلب لإمرأة بلادي – هذا ما

يقوله محرر النهار البيروتية – الحق بأن تصادق رجلاً فجأة، فإذا اشتهته حققت شهوتها.. إنني أطلب لامرأة بلادي كسر طوق الاضطهاد العائلي والديني والأخلاقي وحريتها في أن تكون حرة بلا حدود.. حرة في إقامة علاقة جنسية قبل الزواج أو لماذا أحبس بعده أيضاً؟ حرة في تغيير حبيبها متى ضجرت منه.. حرة في التصرف بجسدها دون قيد ولا شرط).

هذه الحرية الوجودية المطلقة بعينها التي دعا لها جان بول سارتر من قبل ماركس وفردريك انجلز حيث دعيا إلى إبطال قانون الزواج والشيوعية الجنسية لتسلم المرأة نفسها لمن تحبه بعدما تحقق الإستقلال الاقتصادي وتستغني عن الرجل كزوج بخروجها للعمل.

وكل هذه الدعوات تريد للمرأة أن تعود إلى عبودية الجسد وأن يصبح جسدها حقاً مشاعاً تعيش

حيـاة بهيميـة لا فـرق بينهـا وبـين إنـاث الحيوانـات.
هـذا هـو التطـور والتحـرر الـذي يريدونـه للمـرأة ويطالبون به لها.

*****

دعوة تحرير المرأة في الأدب

إذا كان هذا موقف الصحافة فموقف الأدب لا يقل خطورة عن الصحافة، إذ نجد كثيراً من الأدباء والشعراء قد تبنوا ما يسمى تحرير المرأة، ودعوا في أشعارهم وقصصهم ورواياتهم إلى تحلل المرأة وتفسخها بل أباحوا المرأة وجعلوها حقاً مشاعاً للآخرين مثل أدونيس ونزار قباني ونجيب محفوظ وإحسان عبدالقدوس والدكتور يوسف إدريس والدكتورة نوال السعداوي وغيرهم كثير.

نزار قباني ودعوته إلى تحلل المرأة

يكتب نزار قباني في مقدمة (يوميات امرأة لا مبالية) محرضاً المرأة على الثورة على القيم والأخلاق بدعوى أنها مستعبدة من قبل الرجل فيقول: "لابد من العثور على امرأة من هذا الشرق، تملك القدرة على

الصراخ، تملك الجرة على التحدث عن نفسها، وعن جسدها دون أن تلطخها عقدة الذنب وفؤوس العشيرة. كل مكان لابد من العثور على واحدة. امرأة فدائية تقبل بمحض إرادتها أن تمد جسدها وسمعتها جسراً تمر عليه بنات جنسها إلى الضفة الأخرى من النهر، إلى ضفة الحرية. بحثت عنها طويلاً هذه المرأة الشجاعة، في المدن بحثت عنها، في القرى، بحثت عنها في الحقول، بحثت عنها في مدارس البنات، في الجامعات، في الجمعيات النسائية، في حفلات عرض الأزياء حيث الحرية تتحرك على مدى عشرة سنتيمترات فقط ما أضيقها!. وهكذا نجد أن نزاراً لم يكفه من تحرر المرأة تعريها فوق الركبة عشرة سنتيمترات فقط إذ يريدها أن تعري جسدها بكامله وتستبيحه فالحرية التي يريدها للمرأة هي الحرية الجنسية، أن تسلم جسدها لأي رجل تريد، فلا قيمة

للشرف والدين والقيم والأخلاق ولا مبالاة للشرف والعرض والبكارة إذ نجده يقول في آخر يوميات امرأة لا مبالية:

تظل بكارة الأنثى

بهذا الشرق عقدتنا وهاجسنا

وشعر نزار قباني ملئ بالهجوم على الشرق والرجل الشرقي متهماً الرجل الشرقي بأنه مستعبد المرأة وأن المرأة في نظره خلقت لمتعته الجسدية وكأن الغرب والرجل الغربي لا ينظرون إلى المرأة هذه النظرة فها هو نابليون زعيم الثورة الفرنسية التي جعلت شعارها – حرية – إخاء – مساواة يقول أمام الجمعية التأسيسية لتشكيل دستور الثورة وقوانينها الجديدة، يقول لمجلس الدولة: (إن الطبيعة قد جعلت من نسائنا عبيداً لنا).

وهكذا صدر قانون الثورة الفرنسية الكبرى

أستاذ القوانين الحديثة ومنها القانون المصري ليدفع المرأة بالهوان في أكثر من مجال مدنياً وجنائياً ويعاملها معاملة القصر كالأطفال والمجانين كما قال أحد عمداء الفقه وسبق توضيحه.

إحسان عبدالقدوس ودعوته إلى تحلل المرأة

لقد استهان إحسان عبدالقدوس بالشرف أيما استهانة إذ نجده يقول على لسان كريم أحد شخوص قصته أيام في الحلال – يقول كريم لأخته عدلية: (شرف العائلة أحاسيس رجعية لم تعد تحتملها الحياة الحديثة) ولم يكتف بهذا بل اعتبر الشرف مسألة نسبية تختلف من باختلاف العصر والمكان)، وقال بالغاء القوامة فيقول على لسان كريم أيضاً: (وما يسمونه شرف العائلة هو في الواقع تعبير رمزي لتحليل أنانية رب العائلة هناك عائلات يبيح شرفها الكثير من مظاهر الانحلال لأنه رب

العائلة هو الذي يقبل هذا الانحلال.. في حين أن الشرف هو شرف الفرد نفسه، هو الذي يحدد معناه وهو الذي يختار التقيد به ومعنى الشرف يختلف بالنسبة لكل فرد من أفراد العائلة دون الخضوع لسيطرة الرجل رب العائلة أو حتى بتحديه.. إن المجتمعات الحديثة تركت الحرية لكل فرد من أفراد العائلة بحكم القانون حتى تحمي كل فرد من طغيان رب العائلة وننتشل البنات من استعباد عصر حريم السلطان)[1].

وفي قصة (كل النساء) جعل شرف المرأة وعذريتها من التقاليد التي ينبغي أن تتمرد عليها الفتاة، أما في قصته (فوق الحلال والحرام) فلقد دعى جهلاً وافتراءاً بأن أمنا حواء خلقت عارية وأن الله أوحى إليها بستر عوراتها لإثارة وإغراء آدم أي

(١) أيام في الحلال من ضمن زوجات ضائعات ص ٣٤٠.

جعل الحجاب سبيلاً للإغراء ونفي عن العرى الإثارة، وهي دعوة للتعري جد خطيرة، وتمهد لإباحته لبس المرأة (المايوه) ووضع تقاليد لارتدائه ومهاجمته الحجاب والفصل بين الجنسين إذ هاجم الحجاب في أكثر من قصة واتهم النساء المحجبات أنهن يسلمن انفسهن لأي رجل يرينه حتى ولو من وراء ثقب باب كما جاء في قصته (خلف العباءة)، و(تائه في شوارع الحرمان) كما اتهم النساء في المجتمعات الملتزمة بالحجاب بالشذوذ الجنسي[1]. وقد أباح الأستاذ إحسان قُبلة المرأة للرجل الأجنبي عنها مادامت تحبه كما أباح مراقصتها للرجال وأباح الرقص البلدي وشبهه بالصلاة واعتبره فناً راقياً، وفي قصصته (أنا حرة) و(ونسيت أني امرأة) و(خواطر فتاة متحررة)، دعا إلى إبطال قانون الزواج بل جعل المجتمع المصري

(١) في قصته لا تتركوني هنا وحدي.

يقر العلاقات غير الشرعية ويعتبر بها كما قصته (أنا حرة) كما أشاد بعلاقة جورج صاند بشوبان غير الشرعية في قصته (بلا كلام) وجرد المرأة من حيائها وجعلها حقاً مباحاً للرجال باسم الحب والحرية والمساواة كما في قصته (أنف وثلاث عيون) وفي هذه القصة وقصته (خلف العباءة) امتهن الأمومة إذ جعل الأم تقود ابنتها إلى الخطيئة وادعى أن الاختلاط مباح في المساجد وجعل النساء يصلين مع الرجال بل انتهك حرمة المساجد وجعلها مكاناً للقاءات الغرامية كما في قصته (الحب في رحاب الله)، وتعرض للذات الإلهية عندما اتهم الإسلام بالأنانية لتحريمه زواج المسلمة من غير المسلم (لا تتركوني هنا وحدي) أباح البغاء مدعياً أنه من الرق في الإسلام، إذ قال بما معناه أن الإسلام يبيح للرجل أن يدفع مالاً لامرأة فتكون أمته ملك يمينه وعندئذ يحق له مضاجعتها كما جاء في قصته (وسقط قبل

أن يصل إلى الجنة)، وهذا افتراء على الإسلام وجهل به، وفي قصة (أرجوك اعطني هذا الدواء) اتهم جميع الأطباء بارتكاب الفاحشة مع مريضاتهم بل جعل الخيانة الزوجية علاجاً نفسياً، وفي قصته (لن تعود أيام زمان) حلل زواج المتعة، وفي قصة (حالة الدكتور حسن) قال: (إن جميع الفتيات غير عذارى حتى الصغيرات اللاتي لم يتجاوز عمرهن الثانية عشرة). لقد قضى على نظام الأسرة في قصصه إذ جرد الرجل من أبوته (أنا حرة)، (أنف وثلاث عيون) وبنوته وزوجيته والمرأة من أمومتها وبنوتها وزوجيتها، إذا امتلأت قصصه بالخيانات الزوجية وإلغاء نظام الأسرة، وكما قال بنسبية الشرف قال بنسبية الأخلاق والقيم وهي ذات دعوة فردريك انجلز، وفي خطاب إلى ابنتي نادى بالحرية المطلقة للمرأة وطالب بالمزيد من الحرية لمعالجة الخطأ. وهكذا نجد أن إحسان عبدالقدوس قد نظر إلى المرأة نظرة كلها

امتهان إذا حرص على تحررها من الدين والقيم والأخلاق لتعود إلى عبودية الجسد، فالمرأة في نظره خلقت للمتعة والحياة في نظره كما صورها في قصصه أنها متعة ونساء وخمر وجنس، وتعمَّد في كتاباته على إثارة الغريزة الجنسية إذ وصف المشاهد الجنسية وجسد المرأة وصفاً دقيقاً، ونظر إلى الإنسان نظرة مادية بحتة نابعة من الفرويدية، فقد جعل من الغريزة الجنسية هي المحرك الأول للسلوك الإنساني. هذه نبذة مختصرة عما جاء في أدب الأديب الراحل الأستاذ إحسان عبدالقدوس عن المرأة وما حوته بعض قصصه إذ لا يتسع المجال إلى عرض نماذج أكثر وبإمكانكن الرجوع إلى كتاب إحسان عبدالقدوس بين العلمانية والفرويدية الذي سيصدر لي قريباً إن شاء الله.

هذا ومما يزيد خطورة قصص إحسان عبدالقدوس على سلوكيات الناشئة من الجنسين أن

معظم قصصه قدمتها السينما المصرية في أفلام وتعرض باستمرار في التلفاز كما قدمت بعضاً منها الإذاعة في مسلسلات وفي الغالب تختار شهر رمضان المعظم لتقدمها فيه.

الدكتور يوسف إدريس وحرية المرأة

ويربط الدكتور يوسف إدريس حرية المرأة بالعمل ويطالب لها الحرية في اختيار الحبيب فماذا يقول؟ يقول في كتابه (فقر الفكر وفكر الفقر) تحت عنوان (مزيد من الحرية للمرأة): (...... إن حرية المرأة تعني شرفها، ذلك أن المرأة الحرة لا يمكن أن تعطي نفسها بالمال أو الشهرة أو الأبهة، إن المرأة الحرة تعني أن المرأة متمتعة أيضاً بحق الاختيار فهي تختار حينئذ بإرادتها الحرة المطلقة الزوج الذي ستتزوجه والحبيب الذي تحبه، أما المرأة المغلوبة على أمرها الحبيسة في بيت أبيها أو زوجها فهي التي

تعطي نفسها لأي طارق ولأي سبب، هي المغلوبة حقيقة وليست الحرة هي المغلوبة)، ثم يستطرد قائلاً: (والسبب مضحك في أن الرجل في مجتمعنا حر والمرأة في غالبيته ليست حرة. والسبب اقتصادي محض، فالرجل يحكم ويتحرر بمقدار ما يتمتع به من دخل، وكانت المرأة في العهد الغابر تموت جوعاً أو عرياً إذا طردها الأب أو الزوج من بيتها. وللتدليل على هذا علينا أن نلاحظ ما حدث بالنسبة للمرأة حين تعلمت وحين اشتغلت، وحين أصبح لها قدر من الاستقلال الاقتصادي، أنها في الحال أخذت تزاول حريتها الاقتصادية تلك وتطالب أحياناً بالطلاق وترفض أحياناً هذا العريس أو ذاك وتجرؤ أن تقول لا في أحيان بملء فمها)، ثم يتساءل فيقول: (ولكن هل هذا يكفي؟).

(هل الانتظار حتى تتعلم كل نسائنا وبناتنا ويعملن

لأخذهن زمام المبادرة ونيل حريتهن؟)، ثم يجيب عن تساؤلاته فيقول: (لا أعتقد أبداً هذا يكفي).

(فثمة آلاف ومئات الألوف وملايين النساء في مجتمعاتنا راضيات تماماً بهذا الوضع وكأنما استكن إلى العبودية، وأصبحت فكرة الحرية أي فكرة أن يكون مسؤولات تماماً عن سلوكهن وتصرفاتهن مسألة غير واردة بالمرة)[1]. ويعرف الدكتور يوسف إدريس الحرية فيقول: (إن التعريف للحرية – في هذا المجال – يقصد مجال المرأة: الحق في الاختيار بدءاً من اختيار الطعام والشراب والملبس إلى اختيار الحبيب أو الزوج، إلى اختيار التعليم ونوعه ومداه)، ويصف المرأة المسلمة بأنها امرأة مستعبدة لأنه لم يسمح لها باختيار الحبيب كالمرأة الغربية فيقول: (إنني ما قابلت شاباً مصرياً أو عربياً

(١) فقر الفكر وفكر الفقر – الدكتور يوسف إدريس ص ١٩٢ -١٩٣.

ووجدته ابن بيئة أو أم طبيعية مائة في المائة، وإنما تجدين فيه نقطة ضعف، تجدينه إذا قورن بزميله في الغرب أكثر خوفاً من الحياة وأقل احتراماً ويعيش بمنطق غير الواثق بنفسه وذاته، منطق ابن أو بنت المرأة المستعبدة)، ثم يقول: (والحرية للأم ليس معناها أننا نحل العائلة أو نعتدي على مقدساتها، وإنما نحن بهذا نريد عائلات من نوع آخر، عائلات مبنية على فتاة تختار بمطلق إرادتها فتى تحبه ويحبها ويتزوجان لينشأ أولاداً أحراراً مثلهما، لهم كامل ومطلق حق الاختيار)[1].

والمرأة المصرية لا تزال في نظره أَمَة لأنها لم تحصل على حريتها في اختيار الحبيب وتجعل من نفسها حقاً مشاعاً لمن يميل له هواها فيقول: (ولهذا فالمشكلة الثالثة أمام المرأة المصرية هي الحرية:

(١) المصدر السابق ص١٩٤ -١٩٥.

لا تزال المرأة المصرية أَمَة .... حتى لو خيل إليها أنها حرة، أنها حرة في انتاج الأولاد والبنات، وإفناء عمرها في تربيتهم ولكنها ليتها تفني عمرها في تربيتهم لكي يصبحوا مثلها ومثل أمها مع أن حقاباً من الزمن تمضي، والعالم يتغير، ولكن بطئنا نحن في التغير والتغيير سببه مئات القيود الداخلية العميقة التي غرستها فينا أم ليست تماماً حرة أو شبه حرة أو سعيدة بعبوديتها)[1].

ومن خلال هذه النصوص للدكتور يوسف إدريس نجد أنه:

- تجاهل مكانة المرأة في الإسلام وحقوقها التي منحها الإسلام، ومن هذه الحقوق:

١ - حق اختيار الزوج.

٢ - حق الملكية وإعطائها الأهلية الحقوقية واحترم

(١) المصدر السابق ص ١٦٢.

الإسلام هذا الحق ولم يعاملها معاملة القاصر كما يعامل القانون الفرنسي المرأة الغربية والتي يضرب الدكتور يوسف إدريس بها المثل في الحرية مع أنها في نظر القانون قاصر كالأطفال والمجانين كما سبق وأشرت إلى هذا.

٣ - مسؤولية الرجل في النفقة على المرأة أباً أو زوجاً أو أخاً أو ابناً ولا يحق لأي منهم أن يطرد الابنة أو الزوجة ويتركانها تموت جوعاً أو عرياً، فهذا الوضع ينطبق فقط على المرأة غير المسلمة والغربيون يطردون أولادهم في سن مبكرة ويطالبونهم تحمل مسؤولية الإنفاق على أنفسهم مما يدفع الفتيات إلى التفريط في أعراضهن في سبيل الحصول على لقمة العيش، كما سيتضح لنا.

٤ - لقد احترم الإسلام إنسانية المرأة وشخصيتها

وحافظ عليها بعد الزواج فلم يجعلها تنسب إلى زوجها وتتجنس بجنسية زوجها كما نص القانون الفرنسي على ذلك.

فالمرأة المسلمة إنسانة حرة لا توجد امرأة في العالم تتمتع بحريتها مثل المرأة المسلمة فلقد حرر الإسلام المرأة من عبودية الجسد وجعل للمرأة وجوداً وحافظ على كرامتها وإنسانيتها وأنوثتها. والمرأة الغربية هي الأَمَة المستعبدة وما أُعطيت حرية اختيار الحبيب إلا لتقع في عبودية الجسد فتسلم نفسها لمن تحبه.

ويوسف إدريس وأمثاله يريدون للمرأة المسلمة كما أراد فردريك انجلز وماركس، عندما طالبا بالاستقلال الاقتصادي للمرأة بممارستها للعمل وذلك لإبطال قانون الزواج فتسلم المرأة نفسها لمن تحب والمرأة الغربية تدفع الآن ثمناً باهظاً لهذه الحرية إذ أصبحت حقاً مشاعاً لزملائها ورؤسائها في العمل وهذا ما

أوضحته المؤلفة الأمريكية لين فارلي Lin Farley في كتابها: (الابتزاز الجنسي) الذي صدرت طبعة منه في نيويورك سنة ١٩٧٨م وطبعة في لندن سنة ١٩٨٠م (وقد فضحت فيه المؤلفة استغلال الرجل للمرأة جنسياً في العمل.. وأدلتها دامغة وما قالته المؤلفة مهم جداً)، هذا ما قالته صحيفة النيويورك تايمز عن هذا الكتاب: (وقد ظهر هذا الكتاب نتيجة لدراسة ميدانية مكثفة قامت بها المؤلفة مع طالباتها في جامعة كورنيل بالولايات المتحدة ابتداءاً من ١٩٧٤ إلى نهاية عام ١٩٧٦م وبعد ذلك تعاونت مع كثير من الهيئات والجماعات النسائية على امتداد الولايات المتحدة الأمريكية وكثير من العاملات والصحفيات والكاتبات والمهتمات بوضع المرأة في العمل).

تقول لين فارلي في كتابها (الابتزاز الجنسي): (وإن تاريخ ابتزاز المرأة العاملة جنسياً قد بدأ منذ

ظهور الرأسمالية ومنذ التحاق المرأة بالعمل.. ولقد ساهم ابتزاز المرأة جنساً أثناء العمل في قتل أعداد لا تقدر من النساء العاملات في القرن التاسع عشر وأوائل العشرين وذلك عن طريق انتشار الزهري والأمراض التناسلية. وعن طريق طرد المرأة إلى قارعة الطريق إذا رفضت الاستجابة لرغبات رئيسها في العمل.. وبالتالي التعرض لأمراض سوء التغذية والأمراض المعدية، وكانت المرأة تستجيب وترضخ تحت التهديد المستمر بالفصل من العمل إذا هي لم تستجب لرغبات رئيسها الجنسية.. ليس هذا فحسب ولكن بإمكانه أن يشوِّه سمعتها ويتهمها باللاأخلاقية ويكون بذلك قد منعها فعلاً من الحصول على أي عمل آخر نظيف.. ويدفعها دفعاً إلى تجار الدعارة والبغاء أو إلى الهروب خارج المدينة)[1].

---

(١) الدكتور محمد علي البار (عمل المرأة في الميزان) ص١٦١، ١٦٨، ١٦٩.

وتقول المؤلفة: (ونتيجة لهذه المضايقات الجنسية في العمل فإن آلاف العاملات تحولن إلى مومسات...).

هذا ومسلسل الابتزاز الجنسي للمرأة العاملة في الغرب مستمر وآخذ في الزيادة وهو لا يقتصر على المصانع والمتاجر والمطاعم والفنادق والموتيلات بل امتد على دور القضاء والكنائس والجامعات وأقسام الدراسات العليا، ففي استفتاء في جامعة كاليفورنيا في بيركلي عام ١٩٧٧م ظهر أن خُمس الطالبات تعرضن لنوع من الاعتداء الجنسي من الأساتذة والمشرفين على الدراسات العليا وحتى الحاصلات على الدكتوراة فإنهن يعرضن للابتزاز الجنسي من قبل رؤسائهن من رؤساء أقسام أو عمداء الكليات. كما امتدت الإعتداءات الجنسية إلى الشرطيات في أقسام الشرطة تقول لين فارلي: (إن المتدربة في أقسام البوليس والمخابرات تتحول بسرعة من زميل

في العمل إلى فرج تدور حوله النكت البذيئة والتعليقات الجارحة... بل والاعتداءات الجسمانية). وفي استفتاء ٣٣٢ شرطية قالت نصفهن بأنهن قد تعرضن للاعتداء الجنسي من رؤسائهن). وهكذا - كما تقول لين فارلي - (فإن ابتزاز المرأة العاملة جنسياً وخضوعها للقسر والإكراه والإجبار أمر شائع في جميع أنواع العمل ابتداءاً من الجامعات وانتهاء بالهوتيلات والمطاعم ولا يكاد يوجد اليوم أي عمل من الأعمال لا تتعرض فيه المرأة العاملة إلى الابتزاز جنسياً)[1].

ودعاة تحرر المرأة وخروجها للعمل لا يجهلون هذا الابتزاز كإحسان عبدالقدوس، تحدث عنه في قصة (الطريق المسدود)؛ إذ تحدث عن ابتزاز الأستاذ لتلميذته وكيف عندما رفضت الاستجابة له شوه

(١) المصدر السابق ص١٩٧.

سمعتها وشكاها إلى مدير المدرسة، وكذلك صيدلي القرية... و..... كما تحدث الدكتور يوسف إدريس عن الابتزاز الجنسي للمرأة العاملة في قصة (النداهة) وكيف اغتصب (الأفندي) زوجة البواب فتحية التي تقوم بتنظيف شقته، كما تحدث إحسان عبدالقدوس عن هذا الابتزاز في قصة (الهزيمة كان اسمها فاطمة)، فهؤلاء على علم ودراية بمخاطر خروج المرأة للعمل وبمخاطر السفور والاختلاط وأنه يعرض المرأة على الاغتصاب والابتزاز الجنسي ومع هذا يلحون في دعواتهم لأنهم يريدون استباحة المرأة والقضاء على شرفها وعفتها.

أخواتي المسلمات:

هذا هو حصاد المرأة الغربية من خروجها للعمل أما حصادها من الحرية المطلقة أنها أصبحت تتعرى من ثيابها كاملة وهي على خشبة المسرح ثم تسافد

كلباً أمام جمهور المسرح وبعد ذلك تتحدى أي رجل من الحضور أن يسافدها مثل الكلب.

وحصاد المرأة الغربية من الحرية المطلقة أن أصبحت حقاً مشاعاً للأب والأخ والابن والجد والعم والخال بل أصبح الأب يسافد طفلته ابتداءاً من سن الثلاثة شهور إلى سن البلوغ، وأن عدة حالات حمل قد سجلت نتيجة اعتداء الأب على ابنته، هذا ما ورد في التقرير الذي نشرته صحيفة الهيرالدتريبيون في عددها الصادر في ١٩٧٩/٦/٢٩م إذ لخصت أبحاثاً قام بها مجموعة من الإخصائيين من القضاة والأطباء الأمريكيين حول ظاهرة انتشرت في المجتمع الأمريكي والمجتمعات الغربية بصورة عامة وهي ظاهرة نكاح المحرمات ويقول الباحثون إن هذا الأمر لم يعد نادر الحدوث وإنما منتشر لدرجة يصعب

تصديقها فهناك عائلة من كل عشر عائلات أمريكية يمارس فيها هذا الشذوذ[1].

أما السويد التي تعتبر قمة الحضارة فقد ألغت الزواج والدولة تدرس الآن قانوناً يبيح العلاقات الجنسية بين الأخ وأخته.

هذا هو الغرب الذي يريد دعاة تحرير المرأة من أدباء وكتاب وشعراء وصحفيين وسنمائيين أن نحذو حذوه وهذه هي المرأة الغربية التي يريد هؤلاء الدعاة من المرأة المسلمة أن تسلك سلوكها وتمر بالأطوار التي مرت بها وتحصل على الحرية الإباحية التي حصلت عليها فتكون حقاً مشاعاً ليس لكل الرجال الأجانب عنها فقط بل لأبيها وابنها وأخيها وجدها وخالها وعمها والأكثر من هذا أن تسافد الكلاب أمام الناس. وهؤلاء الدعاة ليسوا بأعداء المرأة فقط

(١) المصدر السابق ص١٤٨، ١٤٩.

وإنما هم أعداء لله لأنهم يريدون إلغاء شرع الله ونهجه وانتهاك محرماته وإشاعة الفاحشة، يقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [النور:١٩].

والسؤال ما هو موقف المجتمعات الإسلامية من هذه الدعوات؟

للأسف الشديد كان الموقف سلبياً إذ شجعت المجتمعات الإسلامية باستثناء – المملكة العربية السعودية – هؤلاء الأدباء والكتاب والشعراء والصحفيين ووضعتهم في مواقع الريادة وسلطت الأضواء عليهم وترجمت قصصهم ورواياتهم إلى أعمال درامية فأنتجت الأفلام السينمائية والمسلسلات الإذاعية والتلفازية، وعممت التعليم المختلط واقصت الدين عن المناهج الدراسية وفتحت أبواب العمل المختلط للمرأة على مصراعيه، كما أباحت السفور

والتبرج والاختلاط وسمحت للمرأة مزاولة الرقص والغناء والتمثيل والدخول في مسابقات الجمال والتعري أمام الناس بالظهور بالمايوه أما أعضاء اللجان كما سمحت لها ارتداء المايوه باسم الرياضة والمشاركة في دورات أولمبية وغيرها.

ونتيجة لهذا تخلخل كيان الأسرة المسلمة وكثرت الجرائم الأسرية وأصبح الابن يقتل أمه وأباه والأخ يقتل أخته وأخاه والزوجة تقتل زوجها والزوج يقتل زوجه والأم تقتل ابنها وبنتها... وذلك في جرائم بشعة تصل إلى التمثيل وتقطيع أجزاء جسم القتيل قطعاً صغيرة.

كما كثر الاغتصاب الجنسي وأصبح الجنس يمارس داخل السيارات وفي وضح النهار فقد نشر قبل شهور قليلة في إحدى الصحف المصرية أنه تم ضبط مائة وعشرين فتى وفتاة في المقطم بعد

الواحدة ظهراً وهم في أوضاع مخلة بالآداب داخل سياراتهم، كما تم ضبط فتيات صغيرات في أماكن تستخدم للدعارة وإدمان المخدرات، أما الإدمان فقد أصبح آفة العصر وهو ينتشر في مجتمعاتنا كما تنتشر النار في الهشيم، بل بدأت عدوى انتهاك حرمة المحرمات من النساء تنتقل إلى بعض المجتمعات الإسلامية وقد قرأت في صيف العام المنصرم في إحدى الصحف العربية مشكلة فتاة تعرضت للاغتصاب من أبيها وحملت منه وتتساءل عن مصير هذا الابن الذي أصبح جده أباه.

كل هذا ناتج عن ضعف الوازع الديني والسعار الجنسي المحاصر به أبناء الأمة الإسلامية من كل جانب في الشوارع والطرقات والحافلات، إذ يرى الرجال النساء أمامهم سافرات متبرجات كاسيات عاريات وفي المدارس والجامعات ومكاتب العمل

والمطاعم والفنادق والقاطرات والطائرات والسفن يرون ذات المناظر وفي داخل بيوتهم يرون الفسق والفجور والعرى في الأفلام والمسلسلات التي يعرضها التلفاز والفيديو، وفي الوقت ذاته لا يجد زوجه معه فهي لاهية عنه بعملها وتحقيق طموحاتها والتزين لغيره من الرجال. فالمجتمعات الإسلامية مسؤولة عما آل إليه الوضع فيها الآن.

ورب الأسرة مسؤول عن هذا إذ لم يراع القوامة ولم يعطها حقها وترك أهل بيته يخرجن سافرات متبرجات ويمارسن أعمالاً لا يرضى عنها الخالق جل شأنه وذلك ليخفف عنه أعباء الانفاق.

والمرأة مسؤولة عن هذا إذا انقادت لهذه الدعوات ورددتها كالببغاء وفرطن في عرضها وامتهنت نفسها وجنت على نفسها وزوجها وأولادها ومجتمعها وقصرت في واجباتها تجاههم.

فالجميع مسؤول (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)، هذا ما قاله رسول الله ﷺ وهو قول حق.

أخواتي المسلمات:

كما كانت المرأة المسلمة في المجتمعات الإسلامية التي نبذت الحجاب وخرجت فيها النساء سافرات متبرجات واختلطن بالرجال في المدارس والجامعات، ومواقع العمل وتمردت فيها المرأة على أمومتها وزوجيتها كما كانت هدفاً لمؤمرات أعداء الإسلام حتى تمكنوا من إخراجها من مملكتها لتكون محطاً للشهوات فإن المؤامرة الآن تدبر ضد المرأة السعودية.

هذه المرأة الوحيدة في العالم التي كانت انطلاقتها صحيحة سليمة إذ اتخذت من شرع الله طريقاً وهدياً ونبراساً فحصلت على حقوقها في العلم ووصلت إلى أرقى مراتبه دون أن تتعرض لابتزاز

جنسي بل دون أن يراها رجل أجنبي، ورحم الله الفيصل الذي بدأ الانطلاقة التعليمية للمرأة بداية شرعية سليمة إذ جنبها الاختلاط بل خصص رئاسة خاصة لتعليم البنات. فالمرأة السعودية امرأة محظوظة في - دون نساء العالم - التي هيأ لها مجتمعها كل سبل الصيانة والعفاف والحماية فاستطاعت أن تكون أديبة وباحثة وتقرأ مؤلفاتها في مختلف أنحاء العالم ولم يرها رجل أجنبي، بل استطاعت أن تنال شهادة الدكتوراه ويناقشها أساتذتها من وراء حجاب، كما استطاعت أن تكون صحفية تكتب مقالاتها وتقدم استطلاعاتها الصحفية دون أن يراها رجل، فهي الوحيدة دون نساء العالم التي استطاعت أن تحقق ما حققته من انجازات دون أن تتعرض للمساومة أو الابتزاز الجنسي فالأديبة تُحترم لفكرها لا لجمالها وكذا الباحثة والعالمة والصفية والمعلمة. وعلى المرأة السعودية المسلمة أن تحافظ على

هذه النعمة الكبرى ولا تفرط فيها ولا تنقاد إلى ما يوجه إليها من إغراءات ونداءات ولا تستسلم للدعوات التي تدعو إلى فتح أبواب العمل لها على مصراعيه، ولا تنقاد للدعوات التي تدعوها للعمل في الإذاعة والتلفاز وممارسة التمثيل.

ولا تنقاد للدعوات التي تدعو الأديبات والشاعرات إلى البوح الوجداني وخلع ثوب الحياة ومغازلة الرجل والمشاركة في الأمسيات الشعرية ونقلها إلى الرجال يسمعوها وهي ترقق في صوتها وتكشف النقاب عن عواطفها وأحاسيسها الوجدانية فتبدو أمامهم سافرة العواطف والأحاسيس وتخالف قول الله جل شأنه ﴿ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٢]، فعليها ألاّ تنخدع بالأقوال التي تقول لها من حقك فأنت إنسانة مثلك مثل الرجل وعليك أن تبوحي مثله بعواطفك.

عليها ألا تنخدع كطبيبة أو ممرضة لمن يقودها إلى مخالطة الرجال وتطبيبهم أو تمريضهم وعليها أن تتمسك بتطبيب وتمريض بنات جنسها.

عليها ألا تنخدع بمن يقول لها أن العمل التكسبي ضرورة من ضرورة إثبات الكينونة والذات فتؤثر عملها على بيتها وأولادها وزوجها وتقصر في واجباتها نحوهم وتترك مسؤوليات التربية للخادمات وتتصرف عن أولادها وزوجها وتجد منهم فجأة من أصبح مدمناً للمخدرات.

أخواتي المعلمات:

مما يحزن القلب أسى وحسرة أن عدوى الإدمان للمخدرات قد انتشرت في مجتمعنا وهذا يعتبر كارثة لمجتمعنا المسلم الملتزم بالإدانة في المقام الأول للمرأة السعودية لأنها المسؤولة الأولى عن هذا الإدمان إذ يعني أنها فشلت في التربية كأم وفشلت في التربية

كمعلمة، وفشلت في تحقيق السكن والمودة والرحمة كزوجة.

فشلت في التربية كأم من حيث تنحية الشعور الديني لدى أولادها منذ الصغر فلم تربهم تربية روحية سليمة، لم تنجح في زرع خوف الله في قلوبهم ومراقبته في أعمالهم وأقوالهم وطاعته وعبادته. فضعف الوازع الديني في مقدمة الأسباب على الإدمان إذ يجر الأولاد إلى الأماكن الموبوءة حيث الخمس والحشيش والنساء ومعظم حالات الإدمان التي قرأنا عنها في الصحف وسمعناها في التلفاز ترجع إلى السفر في الخارج وذلك لأن هؤلاء المدمنين يرتادون الأماكن الموبوءة فليس كل من يسافر إلى الخارج يعود مدمناً، فالذي يتقي الله ويخافه لا يبحث عن النساء والخمر عندما يسافر إلى الخارج وإنما يرتاد المساجد والمكتبات والحدائق العامة والمتاحف وأماكن الآثار ليستزيد علماً وثقافة.

أما فشلها في التربية كمعلمة إذ لم ترب طالباتها على إعطاء الأولوية لواجبات الأمومة والزوجية ولم تكمل جوانب الضعف والنقص في المناهج والمقررات الدراسية بل نجدها قصرت في عملية توصيل المعلومات لطالباتها فلم تعلمهن بالطريقة التي تجعلهن يطبقن ما يتعلمنه من علوم دينية في حياتهن العامة وفي تعاملاتهن مع الآخرين، لم تكن لهن القدوة الصالحة التي يقتدين بها لم تنجح كمعلمة في إيجاد علاقة تربط بين المناهج التي يتلقينها الطالبات وبين واقع الحياة، إذ الملاحظ وجود فاصل وحاجز كبير بينهما ولذا فالمعلومات التي تدرسها الطالبات في مختلف العلوم تطير من الذهن بمجرد خروج الطالبة من قاعة الإمتحان، وعندما تسألين الطالبة بعدئذ عن أية معلومة من المعلومات التي درستها في الغالب لا تجيبك شيئاً وإن أجابت فلا

تحسن صياغة جملة مفيدة وإن كتبتها لم تُجد كتابتها إملائياً.

كثيراً ما يلقى اللوم على المناهج الدراسية والمناهج الدراسية تطورت الآن ولكن طريقة التدريس طريقة عقيمة تعتمد على الحفظ الصم والمعلمة لم تجهد نفسها في دفع طالباتها للاستنتاج والاستنباط والتأمل والتدبر ولم تجهد نفسها في ربط ما يتلقينه من علوم بواقع حياتهن وواقع وحاضر المجتمعات المعاصرة. والمعلمة لم تجهد نفسها في تعويد الطالبات على الامتثال والالتزام بأخلاقيات الإسلام. وما ينطبق على المعلمة ينطبق أيضاً على المعلم.

أما فشلها كزوجة إذ لم تحقق لزوجها السكن والمودة والرحمة فلجأ إلى الأماكن الموبوءة وبحث عن امرأة غيرها فسقط فريسة الإدمان، إذ انشغلت عنه بعملها فالبعض من النساء هداهن الله أعطين

الأولوية لأعمالهن بل بعضهن لو خيرن بين أزواجهن وبين وظائفهن يؤثرن الوظيفة على الزوج.

أو تكون مشغولة عنه بجاراتها وصاحباتها وملابسها والمغالاة في زينتها وحضور الحفلات وإقامة الولائم للصاحبات.... الخ.

أخواتي المسلمات:

كما قلت لكن إن المرأة السعودية مستهدفة الآن من قبل الأعداء، وهناك من يحرضها على نبذ الحجاب وعلى التمرد على القوامة وذلك لينهار البيت السعودي وتتفكك الأسرة السعودية المتمسكة بشرع الله، الممتثل لها.

فلتكن المرأة السعودية واعية ولتتنبه إلى ما يحاك ضدها لإسقاطها في عبودية الجسد باسم الحرية والمساواة.

فلتثبت، ولتتمسك بدينها، ولا تفرط في حجابها،

ولا تخرج من مملكتها حصنها الحصين، ولا تفرط فيما حرصت عليه الدولة من توفيره لها من تحصيل علمي دونما اختلاط وأن تُقصر عملها على المجالات الضرورية كالتعليم والخدمات الاجتماعية والتطبيب والتمريض وممارسة العمل الصحفي والأدبي دون أن تعرض نفسها للاختلاط. ولتبتعد عن الأعمال التي تعرضها للسفور الاختلاط كالعمل الإذاعي والتلفازي والعمل في المستشفيات.

أخواتي المسلمات:

لقد أثبتت حكومتنا الرشيدة علمياً وللعالم أجمع أن الحجاب لا يقيد ولا يكبل فكر المرأة ولو كان كذلك لما كان لدينا باحثات وأستاذات جامعيات وعميدات كليات وأديبات وصحفيات وطبيبات ومعلمات وعالمات في الفيزياء والكيمياء، وقد كلف هذا حكومتنا الكثير، وعلينا أن نحافظ على هذا

الكنز الثمين الذي منحته لنا دولتنا، فالمرأة السعودية بحق هي أسعد امرأة في العالم قد نالت حقوقها كما أعطاها إياها الإسلام ودون أن تمتهن نفسها أو تدفع عرضها وشرفها ثمناً كما يحدث في الغرب وباقي المجتمعات الأخرى، فهنيئاً للمرأة السعودية بما نالته، وحمداً لله على هذه النعمة الكبرى ولنحافظ عليها ولا نجري وراء زيف الشعارات وبريق العبارات ونقع فريسة في مصيدة المساواة التي وقع فيها نساء الغرب ثم نساء الشرق.

ولننتشل المرأة المسلمة من الهاوية التي وقعت فيها بثباتنا وصمودنا ومحافظتنا على حقوقنا في الإسلام وتمسكنا بحجابنا لنكون القدوة لهن.

وختاماً أشكر من عميق قلبي وصميم فؤادي إدارة مهرجان الجنادرية بالحرس الوطني وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على إتاحة هذه

الفرصة لألتقي بكن وأتحدث إليكن آملة ألا يكون الملل قد تسرب إلى قلوبكن من طول الحديث سائلة الله أن أكون قد وفقت في الإجابة على السؤالين المطروحين:

المرأة ماذا يُراد لها؟ وماذا يُراد منها؟

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،

سهيلة زين العابدين حماد

الفهرس

الموضـــــوع	رقم الصفحة
المقدمـة	٥
مكانة المرأة وحقوقها في الإسلام وواقعنا المعاصر...	١١
تهمة الخطيئة الأزلية وكيف برأ الإسلام منها	١٣
إنسانية المرأة بين النفي والإثبات.........................	٢٥
- أولاً: المسـاواة في الأجـر والثـواب............	٢٧
- ثانيـاً: المسـاواة في التكـاليف العباديـة والطاعة لأمر الله ورسوله ﷺ	٢٨
- ثالثاً: المساواة في الحدود والعقوبات.......	٢٩
- رابعاً: المساواة في الأهلية الحقوقية والمالية...	٢٩
- خامساً: المساواة في طلب العلم..............	٣٢
- سادساً: المساواة في حرية اختيـار الزوج.......	٣٢
- سابعاً: المحافظة على شخصية المرأة المسلمة...	٣٤

رقم الصفحة	الموضـــــــــوع
٣٧	الفروق بين الرجل والمرأة...........................
٣٧	١ - إعطاء حق القوامة للرجل......................
٣٨	٢ - الإختلاف في الإرث............................
٤١	٣ - قرار المرأة في البيت............................
٤٣	٤ - الإختلاف في نوعية العلم......................
٤٧	٥ - للرجل تولي الحكم وقيادة الجيوش والقضاء............................
٤٨	٦ - إباحة للرجل الزواج بكتابية وتحريم زواج المسلمة من كتابي..........................
٥٠	٧ - مطالبة المرأة والرجل بغض البصر وحفظ الفرج، ومطالبة المرأة بالحجاب..............
٥٢	٨ - تعدد الزوجات وتحريم تعدد الأزواج.......
٥٣	٩ - الطلاق بيد الرجل وشهادة امرأتين برجل واحد.................................
٥٥	موقف المجتمعات الإسلامية من المرأة................

الموضوع	رقم الصفحة
الصحافة والدعوة إلى تحرير المرأة....................	٦١
دعوة تحرير المرأة في الأدب..........................	٦٥
- نزار قباني ودعوته إلى تحرير المرأة..........	٦٥
- إحسان عبدالقدوس ودعوته إلى تحرير المرأة....................................	٦٨
- الدكتور يوسف إدريس وحرية المرأة........	٧٤
الفهرس..	١٠٣

مطابع الحميضي
Al-HOMAIDHI PRESS - TEL.: 4581000 - FAX: 4582217

سرار المودة الزوجية :
، كثرت في زماننا المعاصر حالات التوتر في
كثير من بيوت الزوجية. وبناء على رغبة كثير
ن النساء في معرفة أسرار المودة والاستقرار في
حياة الزوجية. نصوغ لكم نصائح من واقع
قراءة والسماع. والاستقراء والتجارب. تساعد
زوجين على تحقيق المودة في عرض موجز
سلوب مميز.

لمنتقى من تحفة المودود بأحكام المولود :
طفالنا بهجة الحياة وبسمة الدنيا. ولما كثر
سؤال عن أحكام المولود وما يستحب له. وعن
حكام العقيقة. ومشروعية الختان. وغير ذلك
ن الأحكام جاءت هذه الرسالة في عبارة
ختصرة. وأسلوب علمي رصين منتقاة من كلام
الإمام ابن القيم.

كيف نرغب الناشئة في حفظ القرآن الكريم :
عاني كثير من الأباء من عدم رغة أبنائهم في
فظ كتاب الله. ويعاني كثير من الطلاب من
بطات وشبهات تحول بينهم وبين حفظ كتاب
ه.
ا الكتاب يقدم فيه المؤلف خلاصة تجربته
عملية ليستفيد منها الآباء والمربون في كيفية
غيب الناشئة في حفظ القرآن الكريم

المرأة ماذا يُراد منها ؟ وماذا يُراد لها ؟

المرأة مربية الأجيال وصانعة الرجال، فهي مركز توجيه ومصدر قوة ومنبع حنان .
لذا كانت هدفًا للأعداء لإفسادها وإضلالها فيضعف المجتمع وتزدري أحواله.
فماذا يُراد من المرأة، من دور تؤديه؟ وماذا يُراد لها من حقوق وواجبات على الآخرين؟
ماذا أراد الأعداء لإضعافها وماذا أراد الإسلام لتمكينها .
هذا الكتاب رسالة إلى كل فتاة وإلى كل أم.

٤

مطابع الحميضي